الفصل الرابع

صورة الرئيس الراحل «عبد الناصر» في الرواية

obeikan.com

obeikan.com

صورة الرئيس الراحل « عبد الناصر » فى الرواية :

الأموال الطائلة ، الأكل الفاخر وحسناوات القاهرة أعطت لفاروق أغلب الملذات التى قد يستطيع أن يحلم بها الأناس العاديين ، الشرطة السرية كانت جاهزة للدفاع عن الملك من المقتحمين على أنواعهم ، الرجال الذين حاولوا إثارة الفتن تم الإلقاء بهم فى السجن ، هم وجدوا هناك أيضاً مثل هؤلاء الذين كان ذنبهم الوحيد هو إذاعة كلمات انتقاد عن الملك فى محل البقالة أو فى – المقهى الموجود بالحى .

لكن لم يفكر أحد من المسئولين عن أمن الملك بأن العدو رقم واحد للنظام موجود فى قلب المؤسسة ، فى الأكاديمية العسكرية الملكية ، اسمه « جمال عبد الناصر » وقد كان مدرساً بارزاً فى الأكاديمية .

« ناصر » البالغ من العمر ثلاثين عاما ، طويل القامة وواسع الكتفين ، ذو شعر أسود ، كان والده موظف بريد فى الإسكندرية ، الاسم عبد الناصر معناه « مدعم ومدافع »، هو اسم من الأسماء التسعة وتسعون للرب ، عندما كان يبلغ ثلاثة عشرة عاما انتقلت أسرته إلى القاهرة ، واستقرت فى الحى اليهودى بالمدينة ، وقد كانوا المسلمين الوحيدين هناك .

فى نفس الفترة الزمنية بدأ نشاطه السياسى ، انضم إلى حزب مصر الفتاة ، وهو حزب قومى كان يحتوى على خليط كثير من المثاليين والمغامرين ، وطالب الحزب بممارسة الضغط لإزالة البريطانيين من مصر ، وأصبح «عبد الناصر » سريعاً قائد تنظيم مظاهرات طلاب مدرسته ، وهم اعتادوا المرور على الطريق الرئيسى للقاهرة « قصر النيل » ، إلقاء الحجارة على نوافذ عرض المحلات الفاخرة التى استخدمها الأجانب غالباً ، سب البريطانيين الذين شربوا الويسكى على شرفة الفندق « سميرميتس » ، استفزاز رجال الشرطة المسلحين الذين يحرسون السفارة البريطانية ، فى إحدى المظاهرات ضرب أحد رجال الشرطة

رأس « عبد الناصر » بالعصا ، ونزف الدم من جبهته، رفض الذهاب إلى المستشفى خوفا من اعتقاله هناك ، أصدقاؤه ضمدوه، وبعدما اندمل الجرح ترك ندبة عميقة على جبهته .

أنهى دراسته فى الأكاديمية العسكرية وهو يبلغ من العمر عشرين عاماً ، وأخذ رتبة ملازم ثانى، تم تعيينه فى الكتيبة الحامسة التى خدمت فى واحة فى صحراء مصر العليا ، التقى هناك بضباط وجنود بريطانيين الذين أظهروا سلوكاً متكبراً تجاه كل مصرى، ناصر مقتهم، بالليل على ضوء المصباح، بعدما سكنت العواصف الرملية وتلاشت الحرارة الشديدة، تحدث عن ذلك طويلاً مع ضابط شاب أصبح صديقه، اسمه « أنور السادات » كليهما اعتقد أنه يجب إزاحة البريطانيين عن مصر فى أسرع ما يمكن، اقترح ناصر إنشاء حركة سرية تحت اسم الضباط الأحرار، التى ستهتم بإزاحة البريطانيين، قال « أنور السادات » بأعين لامعة « سأكون أول المشاركين » .

بعد مرور عام ، وهو يبلغ من العمر خمسة وعشرين عاما ، تزوج « عبد الناصر » من امرأة تدعى « تحية » تبلغ من العمر إحدى وعشرين عاماً ، وهى واحدة من ثلاث بنات لتاجر شاى غنى ، عاد « عبد الناصر » إلى الأكاديمية العسكرية كمدرس واستمر فى نشاطه السرى .

ممتلئون بالحماس والإيمان بالهدف الذى وضعوه لأنفسهم، أشعل الضباط الأحرار حالة الغليان ضد البريطانيين ، لم يترددوا فى القضاء على المتعاونين وتدمير المنشآت العسكرية البريطانية ، الشرطة السرية المصرية أرسلت العملاء لاقتفاء آثارهم، اعتقلت جزء بارزاًمنهم (بما فى ذلك أنور السادات)، ولكن لم تنجح فى اكتشاف من هو القائد ، « ناصر » استمر فى التدريس فى الأكاديمية الملكية ، ربى ابنتيه وانتظر الوقت الذى تكون فيه الأرض ممهدة لعمل الانقلاب الذى سيؤدى إلى إزاحة البريطانيين وكذلك الحال بالنسبة للملك « فاروق » ،

والمجئ بقيادة جديدة إلى مصر، فى هذه الأثناء تزايدت الأخبار عن نوايا الدول العربية لغزو (أرض إسرائيل) « ناصر » لم يظهر اهتماماً خاصاً لذلك، قال لزملائه كل مايهمنى هى الحقيقة بأن اليهود نجحوا فى إزالة البريطانيين من بلادهم،أنا أعتقد أننا نستطيع أن نتعلم منهم كيف نفعل ذلك .

فى الساعة الرابعة صباحاً استيقظ من نومه الصاغ (الرائد) جمال عبد الناصر ، مجموعة الخدمة للضباط الآخرين استيقظوا هم أيضاً ، لقد كانوا قرويين فى المدن التى لم تنجح فى اجتياز حتى طريق المبتدئين ، لكن تعلموا كى الملابس ، تلميع الأحذية ، إعداد القهوة ، تزييت المسدسات ، وعمل المهام الصغيرة لقادتهم .

جو الصحراء كان باردا ورياح قاسية ضربت وجوه أصحاب الخدمة ، الذين طبخوا وجبة الإفطار ، وأعدوا الملابس العسكرية لقادتهم .

فى الساعة الرابعة والنصف عندما أيقظت صيحة البوق الكتيبة من نومها ، وضع عسكر الخدمة على الدواليب بجوار أسرة الضباط القهوة والفطائر بجبنة الماعز ، ووقفوا بجانبها مشدودين مستعدين لتنفيذ أى أمر .

الغزو المصرى لـ(أرض إسرائيل) كان حتى الآن شيئاً مؤكداً ، قادة الجيش المصرى ، على غرار قادة الجيوش العربية الأخرى ، تحدثوا عن موعد هجوم مناسب ، ١٥ مايو ١٩٤٨ ، بعد انتهاء فترة الانتداب البريطانى ، فقط فى جيب حيفا ستتبقى آخر مجموعات البريطانيين حتى ٣٠ يونيو وبعد ذلك سيغادروا البلاد ، القيادة العامة المصرية أعطت توجيهات بزيادة تدريبات الجيش نحو الحرب المؤكدة .

الآن يرتدى الملابس العسكرية، على كرشه الضخم مربوط حزام بمسدس ، ارتقى المنبر ، ألقى كلمة طويلة حول أهمية الحرب المقدسة (الصهاينة يفهمون فقط لغة القوة) ، أعرب عن ثقته بأن جيش مصر سينتصر وهنأ الذاهبين إلى القتال .

نظر عبد الناصر إلى الملك وحرك شفتيه، عينيه الباردتين لم تخف المخبأ فى قلبه ، تمنى فى نهاية الأمر أن يحدث الانقلاب ويتم إبعاد الملك عن حكمه ، لكن فهم أنه فى المستقبل القريب عليه أن يتوقف عن النشاط السياسى والتفانى فى الحرب فى (أرض إسرائيل).

حل الليل ، ضابط قيادة الكتيبة السادسة « عبد الناصر » ، صعد على هضبة على حافة أشدود ونظر نحو الشمال ، رأى تدداً كبيراً من مصابيح السيارات المتحركة على الطرق ، ولم يكن لديه شك فى أن الإسرائيليين يعتزمون القيام بهجوم موسع على مواقع الجيش المصرى فى أشدود .

الخوف من انتصار إسرائيلى حاسم لم يضعف عنده ، ذهب إلى قائد الكتيبة التاسعة « عبد الحكيم عامر» ووجده يعتزم النوم ليلاً فى حفرة بجوار مبنى القيادة ، « عامر» كان مشرباً بحالة معنوية مرتفعة ، قال « ليست هناك فرصة للإسرائيليين » ، نحن أقوى منهم مرات عديدة، ذكر لعبد الناصر أن منظومة الدفاع الجديدة تحتوى على عدد من الجنود ليس أقل من ٢٣٠٠ جندى، ومدافع ومدرعات كثيرة، قال لا أحد يستطيع اختراق قوة نيرانا .

فى وقت المساء، بعد القتال الفاشل على مستوطنة نيريم ، التقى « عبد الناصر» فى رفح مع عدد من أصدقائه، ضباط شاركوا فى الهجوم على المستوطنة ، قاموا بتدخين سجائر الواحدة تلو الآخرى ، وغطت سحابة من الحيرة وجههم ، لم يتوقع أحد من الضباط الذين قادوا الهجوم على نيريم أن يواجهوا هزيمة هناك .

ماذا حدث هناك بالضبط ؟ سأل « عبد الناصر»، لماذا لم ننتصر ؟

زعم أحد الضباط اليهود كانوا محصنين جيداً ، لم يكن لدينا وقت للاستعداد ، لكى ندرس موقف العدو .

لكن كان لديكم أسلحة كثيرة جداً ، كان لديكم دبابات .

صحيح لكن كان لدى اليهود سلاح سرى لم نستطع أن نتغلب عليه .

سلاح سرى ؟ تعجب « ناصر» .

« من الصعب تصديق » بدأ الضابط فى المبالغة على أجنحة خياله ، لكن بأم عيني رأيت أبراجهم الفولاذية الكهربائية تصعد من الأرض بضغطة زر ، مثل الأشباح من جهنم ، فى مقدمة الأبراج كانت هناك رشاشات ثقيلة فتحت النيران علينا ، عندما نفذت الذخيرة ، عادت الأبراج وابتلعت فى الأرض ، بدون أن تتعرض مصانعهم لمدى نيراننا ، كذلك هم أطلقوا علينا النيران طوال الوقت حتى اضطرننا للانسحاب .

يتضح لنا مما سبق أن الرواية أظهرت صورة الرئيس الراحل « جمال عبد الناصر» بأنه كان يكرس كل تركيزه وجهده فى الإطاحة بالملك فاروق عن الحكم ، وأنه كان مقتديا باليهود ويعتبرهم نموذجاً ينبغى على المصريين اقتفاء أثره والسير على منواله ، بل ويعترف بأن أرض فلسطين هى أرض ملك لليهود وأنها هى بلادهم .